الصباح الإسلامية
08
العدد 1949 - السنة السابعة
الاحد 5 ذو القعدة 1435 - الموافق 31 أغسطس 2014
Sunday 31 August 2014 - No.1949 - 7th Year

منهج القرآن الكريم في مواساة المصابين

مواساة المصابين والتخفيف عن المنكوبين والمبتلين دليل على إيمان العبد وحسن فهمه لمبادئ الإسلام القويمة وللقرآن الكريم منهج خاص في مواساته للمبتلين والمصابين وهذا المنهج الخاص يقوم على أسس ودعائم منها أن:

« 1 » الدنيا دار اختبار وابتلاء:

فالدنيا كما وصفها الله تعالى بأنها دار اختبار وابتلاء قال الله تعالى: «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور «2» سورة الملك.

ووصفها أيضا بأنها دار لهو ولعب وأن نعيمها لا يدوم والراحة فيها ليست بباقية قال سبحانه: «وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» «64» سورة العنكبوت.

وقال: «إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون» «24» سورة يونس.

وقال: «اضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا» «45» سورة الكهف.

وقال: «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» «20» سورة الحديد.

ولقد وصفها المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنه سجن للمؤمن والمسجون ينشوق إلى التحرر من السجن فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. أخرجه أحمد 2/323، 8272» و«مسلم» 8/210 و«الترمذي» 1324.

والعاقل هو من يؤثر ما يبقى على ما يفنى عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى. أخرجه ابن حبان في «صحيحه» «2473»، وأحمد «4 / 412» والحاكم «4 / 308، 319» وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين».

وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له. أخرجه الترمذي «2465» الألباني في «السلسلة الصحيحة» 2 / 670.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.

قال الشاعر:

حكم المنية في البرية جاري
ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الإنسان فيها مخبرا
الفيه خبرا من الأخبار
طبعت على كدر و أنت تريدها
صفوا من الأقذار و الأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما
تبني الرجاء على شفير هار

يروى أنه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لأكل ما جمعه، فجمع نعما طائلة وبنى قصرا عاليا مرتفعا ساميا يصلح للملوك والأمراء والأكابر والعظماء وركب عليه بابين محكمين وأقام عليه الغلمان والأجلاد والحراس والأجناد والبوابين كما أراد وأمر بعض الأنسام أن يصطنع له من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده، وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يا نفس قد جمعت أنعم الدنيا بأسرها فالآن أفرغي لذلك وكلي هذه النعم مهناة بالعمر الطويل، والحظ الجزيل، فلم يفرغ مما حدث نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خلقة ومخلاته في عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة الباب طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا يا ضيف ما هذا الحرص وسوء الأدب اصبر إلى أن تأكل وتعطيك مما يفضل، فقال لهم قولوا لصاحبكم أن يخرج إلي قلي إليه شغل مهم وأمر ملم فقالوا له تنح أيها الضيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج إليك، فقال: أنتم عرّفوه ما ذكرت لكم فلما عرّفوه قال هلا نهرتموه وجبرتم عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب أعظم من طرقته الأولى فنهضوا من أماكنهم بالعصي والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال: ألزموا أماكنكم فأنا ملك الموت وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال الملك قولوا له ليأخذ بدلا مني وعوضا عني فقال ما أخذ إلا روحك ولا أتيت إلا لأجلك لأفرق بينك وبين النعم التي جمعتها والأموال التي حويتها. ابن الجوزي: التبصرة 1/169.

وقال جابر بن عبدالله خرجت مع الأمام علي رضي الله عنه إلى خارج المدينة فتفكرت في أحوال الدنيا وغرورها وفتنتها فقال: يا جابر إن الدنيا أحقر من أن يفتن بها لبيب يا جابر إن لذاتها في ستة أشياء: مأكول ومشروب وملبوس، ومنكوح ومشموم ومسموع : فأما المأكول فالبق ما يؤكل العسل وهو رجيع دبابة، وأما المشروب فالذ ما يشرب الماء وقد تساوى فيه جميع الحيوانات وأما الملبوس فأفخر ما يلبس الحرير ومخرجه من دودة وأما المنكوح فمبال في مبال وأما المشموم فأطيبه المسك وهو دم دابة وأما المسموع فالذ ما يسمع الوتر وهو إلم كله.

قد أولع الناس في الدنيا بأربعة أكل وشرب وملبوس ومنكوح وغاية الكل إن فكرت فيه إلى روث وبول ومطروح ومفضوح

« 2 » ليست وحدك المبتلى في هذه الحياة:

وكما أخبرنا القرآن الكريم بأن الدنيا دار اختبار وابتلاء فقد أخبرنا أيضا بأن المبتلى فيها ليس فردا في ابتلائه وأنه ليس وحده المبتلى قال تعالى: «الم× أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون× ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين العنكبوت:3-2-1

بل إن أشرف الناس الأنبياء والمرسلون كانوا أكثر الناس ابتلاءً عن سعد بن أبي وقاص : قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً ؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة. أخرجه أحمد 1/172، 1481» وابن ماجة «4023 والترمذي «2398 الألباني في السلسلة الصحيحة «143».

« 3 » تنوع وتعدد أنواع الابتلاء في حياة الناس:

المتأمل لتاريخ الأنبياء وقصصهم في القرآن الكريم يلحظ أنه ما من نبي ولاغير نبي إلا قد ابتلي ولقد تنوع البلاء وتعدد في حياة الناس وفي هذا كله نوع من أنواع المواساة للصابرين والمبتلين فمن ابتلي بالمرض فليتذكر قصة أيوب عليه السلام الذي ظل مريضا السنين الطوال حتى تساقط لحمه وتركه من حوله قال تعالى: «وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين «83» فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين «84» سورة الأنبياء.

ومن ابتلي بزوجة سيئة الخلق فلنتذكر امرأة نوح وامرأة لوط قال تعالى: «ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين «10» سورة التحريم.

ومن ابتلي بزوج سيء فلنتذكر آسية امرأة فرعون قال تعالى: «وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين «11» سورة التحريم.

ومن ابتلي بولد عاق فليتذكر قصة نوح عليه السلام مع ولده قال تعالى: «ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين «42» قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين «43» سورة هود.

ومن ابتلي بوالد كافر عاص فليتأس بقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر قال سبحانه: «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين «74» سورة الأنعام وقال: «واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا «41» إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا «42» يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا «43» يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا «44» يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا «45» قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملية «46» قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا «47» سورة مريم.

ومن ابتلي بأذى قومه فليتسلى بقصص الأنبياء مع قومهم قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين × قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم × وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين. الأنبياء/68-70.

وقال عن موسى عليه السلام: «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها» «69» سورة الأحزاب.

وقال تعالى عن حبيبه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين «30» سورة التوبة وقال: «ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم «61» سورة التوبة.

وهكذا فقد تنوع الابتلاء وتعددت المصائب في حياة من جعلهم الله تعالى المثل والقدوة لجميع الناس.

قال ابن القيم في «الفوائد» ص «42»: «الطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب... وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم «انتهى.

يا لاهيا بالمنايا قد غره الأمل
وانت عما قليل سوف ترتحل
نبغي الحقوق بلا زاد نقدمه
إن المخفين لما شمروا وصلوا
لا تركنن إلى الدنيا وزخرفها
فانت من عاجل الدنيا ستنتقل
أصبحت ترجو غدا ماتي وبعد غد
ورب ذي أمل قد خانه الأمل
هذا شبابك قد ولت بشاشته
ما بعد شيبك لا ليو ولا جدل
ماذا التعلل بالدنيا وقد نشرت
لأهلها صحة في طيها علل

« 4 » الأمر بالصبر على الابتلاء والحث عليه:

أمرنا الله تعالى بالصبر وحثنا عليه لكي يكون مسلاة لنا عند المصائب والشدائد قال تعالى: «واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين «45» سورة البقرة.

بل وقرن الصبر بفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق فقرنه بالتسبيح والاستغفار فقال: «واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم «48» ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم «49» سورة الطور.

وقرنه باليقين فقال: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون «24» سورة السجدة.

وقرنه بالتوكل فقال: «الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون «42» سورة النحل.

كما ربطه بالشكر فقال: «إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور «5» سورة إبراهيم.

وربطه بالتقوى فقال: «وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور «186» سورة آل عمران.

وربطه كذلك بالحق فقال: «والعصر «1» إن الإنسان لفي خسر «2» إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر «3» سورة العصر.

وربطه بالرحمة فقال: «ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة «17» أولئك أصحاب الميمنة «18» سورة البلد.

وكذا ربطه بالجهاد في سبيل الله تعالى فقال: «ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم «110» سورة النحل.

والصابرون هم من أعظم الناس جزاءً ومن أكثرهم سعادة يوم القيامة قال تعالى: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب «10» سورة الزمر.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفس عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر. أخرجه «أحمد» 3/93، 11912» و«البخاري» 2/151، 1469» و«مسلم» 3/102، 2388».

قال الشاعر:

اصبر فإني الصبر خير لو علمت به
لطبت نفسا ولم تجزع من الألم
واعلم بأنك لو لم تصطبر كرما
صبرت رغما على ما خط بالقلم
« 5 » تبشير المؤمنين بفضل ثواب الصابرين:

وكما أمرنا الله تعالى بالصبر مواساة لكل مصاب ودفعا للشك واليأس عن كل قلب منكسر مرتاب فقد بشر الله تعالى الصابرين بحسن الجزاء وجزيل العطاء فقال: «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين «155» الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون «156» أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون «157» سورة البقرة.

قال أهل التفسير: والصلاة: من الله المغفرة، قاله ابن عباس، أو الثناء، قاله ابن كيسان، أو الغفران والثناء الحسن، قاله الزجاج.

والرحمة: قيل هي الصلوات، كررت تأكيدا لما اختلف اللفظ، كقوله «رأفة ورحمة» وقيل: الرحمة: كشف الكربة وقضاء الحاجة. انظر: تفسير البحر المحيط 2/102.

وقال أيضا في فضل الصبر وبيان جزاء الصابرين «أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما» الفرقان:75.

عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يود أهل العافية، يوم القيامة، حين يعطى أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض. أخرجه الترمذي «2402» صحيح الجامع: 8177.

وعن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إذا مات ولد العبد، قال الله، لملائكته: قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي ؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد. أخرجه أحمد 4/415 والترمذي «1021».

الوزير المهلبي أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون : كان وزير معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلميكان من ارتفاع القدر واتساع الصدر وعلو الهمة وفيض الكف على ما هو مشهور به، وكان غاية في الأدب والمحبة لأهله. وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة، وكان قد سافر مرة ولقي في سفره مشقة صعبة واشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالا:

ألا موت يباع فاشتريه
فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي
يخلصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبرا من بعيد
وددت لو أنني مما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حر
تصدق بالوفاة على أخيه

وكان معه رفيق يقال له: أبو عبد الله الصوفي، وقيل أبو الحسين العسقلاني، فلما سمع الأبيات اشترى له بدرهم لحما وطبخه وأطعمه، ونفارقا. وتنقلت بالمهلبي الأحوال، وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور، وضاقت الحال برفيقه في السفر الذي اشترى له اللحم، وبلغه وزارة المهلبي فقصده وكتب إليه:

ألا قل للوزير فدته نفسي
مقالة مذكر ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لنفسك عيش
ألا موت يباع فاشتريه

فلما وقف عليه تذكره وهزته أريحية الكرم، فأمر له في الحال بسبعمئة درهم ووقع في رقعته: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم «261» سورة البقرة، ثم دعا به فطلع عليه وقلده عملا يرتفق به. ابن خلكان وفيات الأعيان 2/125.

قال الأبشيهي: «فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب، لما أمر الله تعالى به رسله ذوي الحزم وسماهم بسبب صبرهم، أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم، وسؤالهم، ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم، فما أسعد من اهتدى بهداهم، واقتدى بهم، وإن قصر عن مداهم، وقيل العسر يعقبه اليسر، والشدة يعقبها الرخاء، واللعب يعقبه الراحة، انظر: المستطرف 2/149.

قال الشاعر:

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله
عند الإله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمه
ألوت يداه بحبل غير منقطع

فاللهم واجعلنا من الراضين بقضائك. الصابرين على اختبارك وابتلائك. وأعقب لنا بعد الصبر فرجا وبعد الضيق والعسر يسرا.

أهمية التدبر في القرآن العظيم

معنى التدبر

« لغة التفكر ومادته تدور حول أواخر الأمور وعواقبها » فالتدبر هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه ومن هنا نستطيع أن نفهم التدبر هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر الدلالات الكلم ومراميه البعيدة.

فاعتمادا على هذا التعريف يكون التدبر هو « التفكر باستخدام وسائل التفكير والتساؤل المنطقي للوصول إلى معان جديدة يحتملها النص القرآني وفق قواعد اللغة العربية ، وربط الجمل القرآنية ببعضها وربط السور القرآنية ببعضها وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط أو ذاك .

أهمية التدبر

لماذا التدبر سؤال مطروح ومهم وملح ولعل الأهمية في التدبر تكمن :

1 – الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى فلقد أمرنا بذلك فقال « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » النساء « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمد وإن الله علم أن هذا التدبر فيه خير عظيم وإن كنا نحن المسلمين لا ندركه إدراكا صحيحا

2 – القرآن الكريم بحر فائض من الخيرات وربة الرحمن للعالمين
هل كان القرآن إلا ربة
من يد الرحمن هدية
و عطية أبدية
يسمو بها الإنسان

وقد قال الرافعي رحمه الله «القرآن الكريم يعطيك معان غير محدودة في كلمات محدودة

وهذا البحر الفائض من الخيرات لا بد لاستخراج الدرر المكنونة فيه من غوص وتدبر لاستخراجها واستخراج الحلول للمشاكل المستجدة في عصرنا وفي كل العصور وهو ما يسمى بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا» الكهف

3 – سبب لشحن النفس نحو الخير وضد الشر فقد كان النبي عليه السلام يكرر الآية الواحدة عشرات المرات وورد أنه قام الليل وهو يكرر قوله تعالى « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» المائدة

وما معنى أن يكرر الإنسان آية عشرات المرات إذا لم يكن فيها تقليب الآية والتفكر فيها

وكثير من الصحابة والصالحين كانوا يكررون كثيرا من الآيات يتفكرون وينظرون ويعتبرون

4 – التدبر يعني الاهتمام وبالتالي التطبيق والممارسة وهي النقطة الأهم في حياة الأمة

« فإذا تدبرنا القرآن تقلشاه إلى حقول الممارسة على الأقل أو إلى ميادين السلوك» 5

5 – التدبر في القرآن كان سببا في تغيير حياة كثير من الناس وأولهم الصحابة الذين كانوا يسمعون القرآن فيقولون والله إنه ليس بقول البشر وما هي إلا لحظات تفكر وتدبر قليلة حتى يدخل ذلك الرجل في الإسلام ويصبح من الصحابة الكرام.

ولعل من المفيد أن نذكر هنا أن الناس فهموا بعض الأحاديث فهما خاطئا فأعرضوا عن التدبر وانصرفوا إلى الحفظ والحسم دون التوقف والتدبر ومن هذه الأحاديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه» مسلم عن عثمان

فمن منا لا يطمع أن يكون من خير هذه الأمة لكن بعض المسلمين فهموا أن هذا الحديث لا يحمل إلا معنى واحد هو الحفظ وحسن التلاوة

« إن الصحابة عندما خوطبوا بهذا الحديث قد كانوا يعلمون معانيه سليقة»

وعليه فإن معنى هذا الحديث وحتى يحصل المسلم على الخيرية لا بد أن تتوافر فيه ثلاثة أمور : 1 – التلاوة الصحيحة 2 – الفهم الصحيح 3 – التطبيق السليم . اللهم هذا شهر رمضان فاجعلنا فيه من المقبولين واجعلنا يا مولانا من أهل القرآن والجنان آمين

ثم خلف من بعدهم خلف وجاءت أقوام جعلت العلاقة بينها وبين القرآن على غير الذي كانت عليه فأوكلوا للمسلم حفظ القرآن الكريم وانتشرت مسابقات الحفظ ومباريات الذاكرة واختفت المفاهيم فصارت المقدمة الاجتماعية للحافظ وإن كان لا يعلم من القرآن إلا رسمه ونطقه وليس هذا قليلا من شأن الحفظ لكن يجب ألا يكون هو الهدف بحد ذاته وتنحت فكرة التدبر للقرآن جانبا لأسباب مختلفة وتنحى بعدها الاهتمام بالدين شيئا فشيئا.

فحتى نعيد علاقتنا مع القرآن الكريم فلا بد من التدبر والتدبر هو المفتاح لأنه يعني الاهتمام والمسلم اليوم لا ينقصه شيء مثل ما ينقصه الاهتمام بدينه و قرآنه.

فكيف نتدبر القرآن؟

لابد أن تكون هناك خطوات عملية من أجل أن نصل إلى العتبة الدنيا التي نفهم بها عن رب العالمين سبحانه وهذه بعون الله بعض النقاط:

1 – الاهتمام باللغة العربية: فالقرآن الكريم نزل باللغة والعربية بل يمكن أن نقول إن اللغة العربية هي الوعاء الذي اختاره الله لتستوعب القرآن الكريم . « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» «يوسف» «وكذلك أنزلناه حكما عربيا » الرعد

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا....» طه

ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه يقول «العربية من الدين».

فلذلك أول خطوة في طريق تصحيح علاقتنا مع القرآن الكريم هو بعض الاهتمام بهذه اللغة فمن يريد أ يتعامل مع القرآن الكريم فلا بد أن يتجاوب مع لغته.

2 – كثرة التساؤلات في القرآن : قالوا قديما العلم خزائن ومفتاحه السؤال وأي علم أوسع وأغزر من القرآن الكريم فإضفاء التساؤلات المختلفة على القرآن الكريم يعطينا فهما أوسع للقرآن وامتدادا زمانيا ومكانيا له فمثلا لماذا جاءت هذه السورة قبل تلك ولماذا قدم الجملة هذه على تلك.

إن هذه التساؤلات وغيرها تجعل القرآن الكريم يفتح لنا أسراره الكامنة وتجعلنا نستنطق كثيرا من الآيات لم نستنطق بعد.

3 – العمل تحت قول المفسرين العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب : وهي قاعدة مهمة حيث أن ما كان سببا في نزول بعض آيات القرآن الكريم لا يقتصر على الحادثة فقط إنما نقاس عليها كل الحوادث المشابهة فأسباب النزول هي وسائل إيضاحية وليست وعاء حصريا فما نزل في الوليد بن المغيرة يقاس عليه كل من يتصف بصفاته وما نزل بأبي لهب يقاس عليه كل من يتصف بالصفات ذاتها .